مجالات علم الاجتماع

Dr.TAIBI AMEL

تعريف علم الاجتماع

اختلف باحثو علم النفس في تعريفهم وتصورهم لمصطلح علم الاجتماع، فمثلاً يعتقد جيمس فاندر أن علم الاجتماع هو علم يدرس السلوك والتفاعل الإنساني، والذي يظهر في علاقة الأفراد بعضهم ببعض، حيث إنه يهتم بما يحدث بين الناس، وما يمارسونه من نشاطات بين بعضهم البعض، وبالعلاقات التي تنمو وتتطور فيما بينهم، كما أنه يهتم بالمحافظة على تلك الروابط، أما ماكجي فهو يرى مع زملائه أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس النظام الاجتماعي، والذي يعبر عن النمط الذي تقوم على أساسه الشؤون بين الأفراد في المجتمع، بدءاً من العلاقات البسيطة بين الأفراد كالتعاون مثلاً، إلى العلاقات بين الجماعات التي تشترك بمواقف سياسية معينة، وتتحدث اللغة نفسها.

وقد قدم لوسيل دبرمان تعريفاً لعلم الاجتماع على أنه دراسة سلوك الإنسان، وأنماط حياته الاجتماعية، كما عرفه برنارد فيلبس، أنه العلم الذي يدرس سلوك المجتمع، ويمكن أيضاً إضافة تعريف آخر ورد في الكتب العربية وهو أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية، والأنظمة الاجتماعية، وسلوك الإنسان في علاقته ببيئته والمجتمع،[١] ويطلق عليه ابن خلدون الذي يُعتبر أول من اكتشفه، علم العمران، وذلك لأنه يهتم بالعمران البشري، والسلوك الإنساني، ويعتبره علماً واسعاً، حيث إنه يشتمل على العديد من الأوجه، فهو يهتم بالبيئة وتأثيرها على حياة الأفراد وسلوكهم، كما أنه يدرس حياة البدو والحضر، ويهتم بالدولة وماهيتها، ونشأتها وأسباب تقدمها أو تأخرها.

وقد أطلق الفيلسوف الوضعي أوغست كونت على هذا العلم مصطلح الفيزياء الاجتماعية وذلك لإيمانه أن الظواهر الاجتماعية خاضعة لقوانين الطبيعة، واستعمل كلمة سوسيولوجيا للدلالة على هذا العلم، ويرجع الفضل في تأسيس علم الاجتماع على قواعد علمية متينة وواضحة إلى العالم إميل دوركايم، زعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية، الذي عرّف علم الاجتماع على أنه منهج يهتم بدراسةٍ الظواهر الاجتماعية والتي هي عبارة عن قوى تفرض على المجتمع نوعاً معيناً من التصرف، والتفكير والعواطف، وهي ليست من صنع أفراد المجتمع بل هي تسبقه في الوجود.

مجالات علم الاجتماع

يشتمل علم الاجتماع على مواضيع متنوعة وكثيرة حيث يتناول الجريمة، والدين، والأسرة والدولة، والانقسامات في المجتمع، والطبقات الاجتماعية، كما يبحث علم الاجتماع في الأسباب والعواقب الاجتماعية لكثير من الأمور، مثل: الحب، والهوية العرقية، والسلوك المنحرف، والشيخوخة، والمشاكل الأسرية، ويدرس الفقر، والثروة، والمدارس والتعليم، ويحلل العديد من الظواهر مثل: النمو السكاني، والهجرة، والحرب والسلام، والتنمية الاقتصادية.

كما تختلف طريقة علماء الاجتماع في إجراء البحوثات الخاصة به، حيث يراقبون الحياة اليومية للأفراد، ويقومون بعمل الاستطلاعات، ويحللون البيانات، ويجرون المقابلات والاختبارات، والجدير بالذكر أن علم الاجتماع يعتبر المجال الذي يمكن من خلاله توسيع المدارك، وتحليل العلاقات الاجتماعية بين البشر، بالإضافة إلى دراسة العلاقات بين البشر والثقافات والمؤسسات المختلفة،[٣] ويعتبر علم الاجتماع من العلوم الصعبة والمعقدة من حيث الدراسة، إلّا أنه من الدراسات التي تجذب الناس.

ويعود تعقيد دراسته وصعوبتها إلى أنها تهتم بالعلاقات الإنسانية التي تكون في الكثير من الأحيان غير واضحة، وأهم موضوع يدرسه علم الاجتماع ما يُطلق عليه النسق الاجتماعي، وهو مجموعة من الناس الذين يرتبطون مع بعضهم البعض بروابط مشتركة، ويشتركون بنشاط أو أكثر، ومثال ذلك النسق الاجتماعي البسيط المكوّن من الزوج والزوجة، أو المعقّد كمصنع يضم العديد من الموظفين والعمال، أو الجيش الذي يضم الآلاف من الجنود.

تطور علم الاجتماع

تطور علم الاجتماع من خلال مروره بثلاث فترات رئيسة:[٥] بدأ علم الاجتماع بالظهور في أواخر القرن التاسع عشر، حتى فترة الحرب العالمية الأولى، وهي الفترة التي حدث فيها النمو الانفجاري وتوحيد الثقافات، وعُرفت بفترة التجزئة وكانت خلال الفترة **1945-1975**م. تطوير منهج علم الاجتماع بالاعتماد على نظرية داروين، وذلك كمحاولة من علماء الاجتماع تأسيس العلم على منهج علمي، حيث قاموا بوضع معايير بين البشر والكائنات الحية الأخرى، بالإضافة إلى أنهم أدخلوا العديد من المفاهيم مثل التباين، والميراث والاختيار الطبيعي. استبدال النظرية الداروينية، وحل محلها النظريات الأربعة وهي: النظرية الاقتصادية: حيث اهتم الجميع بفكرة ماركس، والتي توضح أن التميز الاجتماعي والمستويات الطبقية في المجتمع نشأت نتيجة العوامل الاقتصادية. النظرية الجغرافية: تشير إلى تأثر المجتمعات بالتغير الجغرافي والمناخي، حيث إن المناخ له تأثير كبير على تطور المجتمعات. النظرية النفسية: يُقصد بها تأثير المزاج، والذكاء، والحالة النفسية والغرائز بمختلف أنواعها في التطور الاجتماعي. النظرية الثقافية: لقد أكدت أن الإنسان قادر على الابتكار، وأن الثقافة عامل مهم في حدوث التطور الاجتماعي

أبرز علماء الاجتماع من العلماء الذين برزوا في علم الاجتماع المهندس البريطاني هربرت سبنسر، وهو أديب وفيلسوف، تعلم بنفسه وحصل على ثقافته باجتهاداتٍ شخصية، حيث إنه لم يدخل المدارس الحكومية أو الأهلية، وذلك لأنه لم يكن مقتنعاً بسياستها وأسلوبها في التربية، ويعتبر أول من فسّر النظرية التطورية، وقد قام كذلك بتطبيقها في مجال علم الاجتماع، ونشر مبادئه في عام **1860**م، كما نشر مقالة بعنوان فرضية التقدم في عام **1852**م وذلك قبل ظهور نظرية دارون بسبع سنوت، كما أكد فكرة التعايش الاجتماعي التي تفيد بأن أجزاء الكائن الحي تترابط مع بعضها البعض وذلك لتؤدي وظيفة اجتماعية، ومن مؤلفاته الاستاتيكية الاجتماعية، والمبادئ الأولى، ومبادئ علم الأحياء، ومبادئ علم النفس.

ومن العلماء الآخرين ابن خلدون، الذي يُعدّ مؤسس علم الاجتماع وأول من وضعه على الأسس الحديثة، وقد ولد في تونس في عام 1332م، وتوصل إلى نظريات مختلفة حول قوانين العمران، وقوانين تأسيس الدولة، ومراحل عمرانها، وأسباب سقوطها، واستطاع أن يسبق بنظرياته العديد من علماء الاجتماع المشاهير، مثل: العالم الفرنسي أوجست كونت، وله العديد من المؤلفات أشهرها مقدمة ابن خلدون.

مدارس الكبرى في علم الاجتماع

ليس من العسير عمينا تحديد الجذور الفكرية الرئيسية لعمم االجتماع، فقد نشأ ىذا العمم كغيره من فروع المعرفة االنسانية بين احضان الفمسفة وتربى في ميادىا حت اذا تكاممت قواه انفصل عنيا واستقل بطرقو ومنابجو وبحوثو، وأصبحت الفمسفة ترجع اليو وتنبعث منو بعد أن كانت تمده وتغذيو.

ويمكن القول بصفة عامة بأن عمم االجتماع لو أصل رباعي يتمثل في الفمسفة السياسية وفمسفة التاريخ والنظريات البيولوجية في التطور، والحركات التي نادت باالصالح االجتماعي والسياسي، وقد لعب كل من فمسفة التاريخ والمسح االجتماعي دو ار ة في المراحل ً عظيم االىمي

االولى بالذات وكانت من أحدث منجزات التاريخ الفكري لالنسان.

وتنظر الفمفسة السياسية االجتماعية الشاممة إلى المجتمع بوصفو كالً شامالً، فيي تؤكد نذا
الطابع الكمي برغم اختالف مظاىره وتحميالتو ثم تبحث عن االرتباطات المختمفة التي تشكل
المجتمع، ولقد بدأت العموم االجتماعية كل بطريقتو الخاصة –دراسة المظاىر والتجميات بيدف
فيم نذا الكل في ضوء الضرورات التي تفرضيا الطبيعة وبرغم ذلك فمقد كانت العمميات
الطبيعية من أىم القوى المحركة لمحضارات.

إلى أن الطبيعة تسيم في التأليف بين " Hume David وذنب "دافيد بيوم الكائنات
االنسانية من خالل العالقات الجنسية، أما المشاركة الوجدانية المتبادلة فتظير داخل األسرة في
بداية األمر ثم ما تمبث أن تتحول إلى عادات وتقاليد ثابتة بحكم طبيعتيا يتصفون باألنانية مما
يتطمب ضرورة تيذيب نذه المشاعر الفردية. وقد اصبحت فمسفة التاريخ عاملاً فكرياً ناماً في
"اوائل القرن التاسع عشر، وذلك من خالل كتابات "هيجل وسان سيمون

وقد نبعت من نذين
ويرجع الفضل إلى فالسفة التاريخ أساساً المفكرين أعمال كل من "ماركس" و"كونت " في التصور
الجديد باعتباره أكثر من مجرد المجتمع االنساني أو الدولة، وامتد اتماميم بحيث شمل كافة
النظم االجتماعية وفرقوا تفريقاً دقيقاً بين الدولة وما أطمقوا عميو اسم المجتمع المدني Civial
Society في مؤلفو)العمم الجديد(إلى أن التطور Vico فعمى سبيل المثال يذنب االجتماعي
يعد عممية دقيقة يمكن فيميا واستيعابيا، وأن كل الحضارات االنسانية البد وأن تمر بمراحل
ثالث اساسية تتابع بانتظام بحيث تتجو من المرحمة ألدنى إلى المرحمة ألعمى، وأشار آدم
إلى أن التفكير في حد ذاتو يعد مينة في عالم يخضع لتقسيم Ferguson فيرجسون العمل.

فقد عرض ألول مرة وجية نظر غير دينية في" Voltaier أما "فولتير التاريخ العالمي،
وتستند إلى قضيتين اساسيتين: األولى أن التأريخ السياسي واالقتصادي واالجتماعي والثقافي
يمثل كالً يضم مجموعة من الجوانب المت اربطة المتساندة فيما بينيا أما القضية الثانية فيي أن
الحضارات غير المسيحية قد أسيمت في تطور الحضارة االنسانسية كميا بوجو عام ويتمثل
العامل الفكري الثاني في عمم االجتماع الحديث الذي يرتكز بدوره عمى مصدرين يامين يما:

االقتناع المتزايد بأن منابج العموم الطبيعية ينبغي أن تتسع لتغطي مجال دراسة الشؤون االنسانية يمكن تصنيفيا وقياسيا.

االرتباط بمشكمة الفقر)المسألة االجتماعية(انطالقاً من إد ارك الحقيقة التي مؤدابا أن الفقر

في المجتمعات الصناعية لم يعد ظابرة طبيعية بعد –كنقمة من الطبيعة أو من اهلل- وانما بو

نتيجة الجيل االنساني أو االستغالل، وفي ظل بذين العاممين المؤثرين أخذ المسح االجتماعي

يحتل مكانة بامة في بذا العمم لدراسة المجتمع.

لمنهج الوصفي
يعتبر من أكثر المناهج تناسباً للواقع الاجتماعي وخصائصه. يمكن من خلاله شمول كل أبعاد الواقع الذي يتم تحديده على الخريطة، ووصف الظاهر المتعلقة بهذا الواقع بشكلٍ دقيق. يعتمد المنهج الوصفي على خطوات، وهي: اختيار الوحدة الاجتماعية الأساسية والتي تعتبر الأساس في الموضوع المدروس. اكتشاف الطريقة المناسبة من أجل قياس الكمية لمختلف عناصر التي تتكون منها الوحدة الدراسية. فحص العوامل المختلفة والتي من شأنها التأثير في تنظيم وظائف الظاهرة المدروسة.

أما المراحل التي تمر بها البحوث الوصفية فهي: مرحلة التعرف على الأمور وصياغتها. مرحلة التشخيص والوصف بشكلٍ عميق. والأمور التي تمثل المنهج العلمي في البحث الوصفي كالتالي: إحصاء عدد السكان والحالة الاجتماعية للأفراد. معرفة عدد المواليد والوفيات. بحوث وصفية مثل البيانات والمعلومات التي تزيد المعرفة بالمظاهر اللازمة، والتي لها علاقة بالبحث.

المنهج التجريبي

التجربة هي عبارة عن الطرق والعمليات التي من خلالها يتم التأكد من صحة فرضية علمية ما. التجريب هو عبارة عن القدرة على توفير كل الظروف اللازمة والمناسبة لعمل تجربة ما. يجب اتباع أسلوب منتظم من أجل جمع البراهين والأدلة اللازمة في عملية الإثبات. أما خطوات البحث التجريبي فهي كالتالي: تحديد المشكلة التي يريد العامل مواجهتها وحلها. صياغة الفروض التي يكون لها علاقة بالمشكلة الموجودة. تحديد العوامل المستقلة للبحث. تحديد العوامل المتغيرة للبحث. تحديد الشروط المهمة واللازمة من أجل ضبط المشروع وعملية التحكم به.

المنهج المقارن تشمل المجالات العلمية التي تخضع لبحث المقارن التالي: دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الاشكال الرئيسة المكونة للسلوك الاجتماعي. دراسة نمو وتطور أنماط الشخصية المختلفة. دراسة الاتجاهات النفسية والاجتماعية في المجتمعات المختلفة. دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية وغيرها. دراسة النظم الاجتماعية المختلفة، كالزواج والطلاق وغيرها. دراسة النظام لأكثر من مجتمع واحد، ومن ثم العمل على مقارنة هذه المجتمعات مع بعضها البعض لمعرفة أوجه الاختلاف والتشابه وغيرها.